الشيء الذي لا تتحدث عنه، وهي موجودة لأن هناك أشياء لا ينبغي الحديث عنها»[49].

وهكذا فالإديولوجيا عندما تدخل إلى النص الأدبي تتكسر وتنقلب ضد نفسها[49].

ويمكن أن نلاحظ على الرغم من كل شيء أن ماشيري لم يَسْتَطِعْ أن يَبْلُغَ بنا إلى الفهم الذي كان توصل إليه على سبيل المثال باختين منذ مطلع هذا القرن بخصوص الدور الذي يلعبه التناقض الإديولوجي داخل النص. وما هي العلاقة بين الإديولوجيات في النص والنص كالإديولوجيا؟. لقد لامس ماشيري القضايا الجوهرية دون أن ينفصل كلياً عن النظرة الماركسية لعلاقة الأدب بمساره التاريخي.

ومن الأكيد أن ما قدمه ماشيري بخصوص الإديولوجيا في النص الأدبي والرواية خاصة يعتبر شديد العمق إذا قيس ببعض الآراء المعروفة في الموضوع، وقد لخص تيري ايجلتون أفكار ماشيري انطلاقاً من كتابه الذي قدمنا منه التحليل السابق فقال:

«يميز ماشيري في هذا الكتاب بين ما يسميه الوهم Illusion [وهو الإديولوجيا أساساً] والتخييل Fiction. أما الوهم (أو التجربة العادية للبشر) فهو المادة التي يعمل فيها الكاتب، ولكنه ـ بعمله فيها ـ يحولها إلى شيء مختلف يمنحها شكلاً محدداً وبِتَثبيتها داخل حدود قصصية، فإنه يتمكن من التباعد عنها. ويكشف لنا عن حدودها فيسهم في تحريرنا من أسْرِ وَهْمِها»[50].

إن آراء ماشيري، وخصوصاً فكرته عن ضرورة حضور النسق في النص من خلال التناقضات الإديولوجية، توصلنا إلى الحديث عن بعض الآراء التي تسير في الاتجاه نفسه. ومن المفارقات العجيبة أن يتنبه أحد الشكلانيين، وهو توماتشيفسكي إلى هذا القانون الصراعي الذي يحكم البنية الشكلية للحكي بشكل عام، وهو الذي قال:

«يمكن وصف تطور المتن الحكائي بأنه أشبه بمرور من وضعية إلى أخرى، نظراً لأتصاف كُلِّ وضعية بصراع المصالح أو بالصراع بين الشخصيات. إن التطور الجدلي للمتن الحكائي هو نظير تطور السيرورة الاجتماعية والتاريخية التي تُقَدِّمُ كُلَّ مرحلة تاريخية جديدة كنتيجة لصراع الطبقات الاجتماعية في المرحلة السالفة، وفي الوقت نفسه كساحة تتضارب فيها مصالح المجموعات الاجتماعية التي تؤلف النظام الاجتماعي القائم»[51].

ولا يوجد هذا التصور عند الشكلانيين وحدهم بل يتعداهم إلى الدارسين المعاصرين،

---

(49) Ibid., P. 154 - 155.

(50) تيري إيجلتون: الماركسية والنقد الأدبي. ترجمة جابر عصفور، عيون، 1986، ص 26.

(51) نظرية المنهج الشكلي، ترجمة ابراهيم الخطيب. مؤسسة الأبحاث العربية، ط 1، 1983، ص 185.